المجال الثامن
الكلام

ورد النهي في هذا المجال في سياقين عن:

١- قول لفظ راعنا فهو ذو معنى قبيح - في لغة اليهود - تأنفه النفوس السوية، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠٤).

جاء في معنى (راعنا): "هي كَلِمةٌ كانوا يَذْهبُونَ بها إلى سبِّ النبيِّ، صلى الله عليه وسلم اشْتَقُّوه مِن الرُّعُونَة. وقَرَأَ الحَسَنُ: راعِناً بالتَّنْوينِ. قالَ ثَعْلَب: معْناهُ: لا تَقُولُوا كَذِباً وسُخْرِيًّا وحُمْقاً[١]"، وقيل: "كان ذلك قولا يقولونه للنبي صلّى الله عليه وسلم، على سبيل التّهكّم، يقصدون به رميه بِالرُّعُونَة[٢]".

وجاء في تفسير هذا النص الكريم: "هو من الإرعاء والمراعاة، وفى قراءة عبد الله: لا تقولوا راعونا، وذلك أنها كلمة باليهودية شتم، فلمّا سمعت اليهود أصحاب محمد صلى الله عليه وسلّم يقولون: يا نبىّ الله راعنا اغتنموها فقالوا: قد كنا نسبّه فى أنفسنا فنحن الآن قد أمكننا أن نظهر له السّبّ، فجعلوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلّم: راعنا، ويضحك بعضهم إلى بعض، ففطن لها رجل من الأنصار، فقال لهم: والله لا يتكلم بها رجل إلا ضربت عنقه، فأنزل الله: لا تَقُولُوا راعِنا، ينهى المسلمين عنها إذ كانت سبّا عند اليهود[٣]".

وفي هذا النص الكريم نهي واضح للمؤمنين; فهو سبحانه "ينهاهم أن يقولوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: راعنا، من الرعاية والنظر، وأن يقولوا بدلا منها مرادفها في اللغة العربية: انْظُرْنا[٤]"; لأن اليهود قبحهم الله كانوا - انطلاقا من السخرية بالحبيب عليه الصلاة والسلام - يريدون بها الرعونة، وهي: "إفراط الجهالة، أو الوقوف مع حظ النفس ومقتضى طباعها[٥]".

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، ٣٥ / ١٠٠
(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ٣٥٨
(٣) معاني القرآن، الفراء، ١ / ٦٩ وما بعدها
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ١٠٠
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ١ / ٣٦٨

"وتذكر الروايات أن السبب في ذلك النهي عن كلمة «راعِنا».. أن سفهاء اليهود كانوا يميلون ألسنتهم في نطق هذا اللفظ، وهم يوجهونه للنبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يؤدي معنى آخر مشتقا من الرعونة. فقد كانوا يخشون أن يشتموا النبي - صلى الله عليه وسلم - مواجهة، فيحتالون على سبه - صلوات الله وسلامه عليه - عن هذا الطريق الملتوي، الذي لا يسلكه إلا صغار السفهاء! ومن ثم جاء النهي للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة، وأمروا أن يستبدلوا به مرادفه في المعنى، الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالته. كي يفوتوا على اليهود غرضهم الصغير السفيه! واستخدام مثل هذه الوسيلة من اليهود يشي بمدى غيظهم وحقدهم، كما يشي بسوء الأدب، وخسة الوسيلة، وانحطاط السلوك. والنهي الوارد بهذه المناسبة يوحي برعاية الله لنبيه وللجماعة المسلمة، ودفاعه - سبحانه - عن أوليائه، بإزاء كل كيد وكل قصد شرير من أعدائهم الماكرين[1]".

٢- وصف الشهداء بكلمة الموتى، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(١٥٤).

لا شك أن الموت في سبيل الله، لإعلاء كلمته تعالى أشرف الموت وأسماه، والسعي لنيل الشهادة من أكرم الأعمال عند الله تعالى، فالمرء الذي يهب حياته لخالقه - لا ريب - يستحق أن يحييه الله عنده حياة تليق به وبما قدم من تضحية، ولذلك نهى الله المؤمنين عن وصف الشهداء بوصف الموت; لأنهم يحيون عند ربهم حياة ما أجملها وأسعدها.

ورد في تعريف الشهيد: "الشهيد: وهو فعيل بمعنى مفعول، سمي به; لأنه مشهود له بالجنة بالنص، أو لأن الملائكة يشهدون موته إكراما له، أو بمعنى فاعل; لأنه حي عند الله تعالى حاضر... وهو في الشرع: كل مسلم طاهر بالغ قتل ظلما ولم يجب بقتله مال ولم يرتث. وفي الصحاح: وارتث فلان وهو افتعل على ما لم يسم فاعله أي حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق[2]". والشهيد: "بمعنى المُسْتَشْهَد المقتول[3]".

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ١٠٠ وما بعدها

(٢) أنيس الفقهاء، القونوي، ١ / ٤٢

(٣) المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب، ابن المطرز، ١ / ١٩

ومكانة الشهيد عالية سامقة، وأجره لا حدود له; فقد "روى أحمد أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: «يعطى الشهيد ستّ خصال: عند أول قطرة من دمه تكفّر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة، ويزوّج من الحور العين، ويأمن من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويحلّى حلة الإيمان»[1]".

و"أخرج أَحْمد وَعبد بن حميد وَالْبُخَارِيّ وَمُسلم وَالتِّرْمِذِيّ وَالْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب عَن أنس عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ مَا من أهل الْجنَّة أحد يسره أَن يرجع إِلَى الدُّنْيَا وَله عشر أَمْثَالهَا إِلَّا الشَّهِيد فَإِنَّهُ ود أَنه لَو رد إِلَى الدُّنْيَا عشر مَرَّات فاستشهد لما يرى من فضل الشَّهَادَة[2]".

وقد ورد في هذا الشأن: "وأما القتال في سبيل الله فهو طريق الحفاظ على الحقوق، والظفر بالجنة والشهادة، وأساس تحقيق المجد والعزة والكرامة واستقلال الأوطان، وصدّ عدوان المعتدين، واسترداد الحقوق المغتصبة كاغتصاب الصهاينة بلاد فلسطين العزيزة. وقد صحح القرآن الكريم مفاهيم الناس عن الشهداء، فهم خالدون على مدى التاريخ، ولهم الدرجات العليا عند الله تعالى.

لما قتل بضعة عشر رجلا من قتلى بدر، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، كان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذّتها، فأنزل الله في قرآنه بيانا قاطعا بأن الشهداء أحياء في قلوب الناس والتاريخ، وأحياء في قبورهم، وأرواحهم الطاهرة في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة[3]".

ورد في صحيح مسلم قول النبي ﷺ عن الشهداء: "(أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا

---

(١) تفسير المراغي، الشيخ المراغي، ٢٦ / ٥٤

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ٢ / ٣٧٨

(٣) التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي، ١ / ٧٠

من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)[1]".

وقد اختار النبي ﷺ - حال احتضاره - رفقة الله تعالى; حيث خير الناس: النبيون والصديقون والشهداء – وهذا موضه شاهدنا – والصالحون، وحسن أولئك رفيقا; فقد قال عندما خُيِّر بين الحياة والموت: " مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى فِي الْجَنَّةِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا[2]".

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال: تقولوا – راعنا – يقتل – سبيل – الله – أموات – أحياء – ربهم – يرزقون.

(١) صحيح مسلم، الإمام مسلم، ٣ / ١٥٠٢

(٢) جمع الوسائل في شرح الشمائل، أبو الحسن الهروي، ٢ / ٢٠٢